

مادة : الخلافة المأثورة

الفصل الثالث

رابعاً: خطبة الفاروق لما أولى الخلافة:

اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم: إنه صعد المنبر فقال: اللهم اني شديد فليبي، واني ضعيف فقريبي، واني بخيل فسخطي^(١)، وروي أن أول خطبة كانت قوله: إن الله ابتلاكم ببني وإبنائي بكم بعد صاحبي، فوالله لا يحضوني شيء من أمركم قبله أحد دوني، ولا يتغيب عني فالكوفيد عن أهل البصرة - يعني: الكوفة - والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسن إليهم، وإن أساءوا لأنكسب بهم. فقال من شهد خطبته ورواها عنه: فوالله ما زاه على ذلك حتى فارق الدنيا^(٢)، وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر ومث أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليبراني أرى نسي أهلاً لمجالس أبي بكر. فترد عرقاً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقروا بالقرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من

أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزبنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تحصى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق من حق أن يقطع في معصية الله، ألا وإنني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي البشير، إن استعنت عفت، وإن افتقرت، أكلت بالمعروف^(٣).

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءاً فرواه، وحفظ آخر جزءاً غير فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا دارقاً بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعاً لمنهجهم وشريعته. كما أنه ليس شريفاً على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه قومه فيسأله بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفسه ^{عليه السلام} ونزل درجة من مكان الصديق ^{عليه السلام} وفي رواية أخرى أنه بعد من من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته، وبطشه، وأدرك عمر أنه لا بد من تخليه الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنهم مع النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وخليته، وكيف أنهما توفيا وعما وأصياناً، ثم قال: ... ثم إنني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خذه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدع الحق. واني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي أن لا آتيني شيئاً من خراجكم، ولا مما آفاه الله عليكم إلا في وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأشد نفوركم، ولكم علي ألا ألقبكم في المهادن ولا أجتركم^(٤) في نفوركم، وإذا غشم في البعوث فلا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتفوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكتب ي. وأعينوني على نفسي بالأمر

(١) كثر العمال رقم ٤٤٢١٤ نقلًا عن الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص ١٢٠.

(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين ص ١٢٠.

(٣) أجمعكم أي لا ألقبكم على جهات الله لئلا يبتدأ من أهليكم مدة طويلة.

بالمعروف والنهي عن المنكر وإحداً لربي النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول
قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(١)، وجاء في رواية: إنما مثل العرب مثل جعل
أنف اتبع قائده، فليُنظر قائده حيث يقوده، أما أنا فوَرَب الكعبة لأحملتهم على
الطريق^(٢).

وفي هذه الروايات لخطبة عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة يتضح منهجه في الحكم
الذي لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

١- أنه ينتظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلي به سيحاسب على أداء حقه،
فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جأهاً وشرفاً واستعلاء.

٢- وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من
أمورها، وأن يولي على الرعية التي غابت عنه أفضل الأمراء وأكفأهم، غير أن ذلك
- فيما يرى عمر - ليس كافياً لإبراه ذمته أمام الله تعالى؛ بل يرى أن مراقبة هؤلاء
العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحساناً، ومن أساء عاقبه
وتكَل به^(٣)، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله عن حديثنا مؤسسة الولاة، وفقه الفاروق
في تطويرها.

٣- إن شدة عمر التي هابها الناس سيخلصها لهم ليثاً ورحمة، وسينصب لهم
ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التكيل والهوان فوَلست أدع أحداً
يظلم أحداً ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض... أما من أثر القصد
والدين والعفاف فسيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه؛ أضع خدي لأهل
العفاف^(٤)، ويتضح عدل عمر رضي الله عنه في وعيته من خلال المواقف واهتمامه
بمؤسسة القضاء وتطويرها بحيث يطر العدل على كل ولايات الدولة.

٤- وتكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسد الثغور ويدفع الخطر، غير
أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحسبهم في الثغور إلى حد لا يظلمونه، وإن

غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة جهازه الإداري أبنائهم وأسراهم^(٥)، ولقد قام
الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة صارية لا مثيل لها على مستوى
العالم في عصره.

٥- وتعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية للرعية كاملة... من خراج وفي، لا
يحتج من شئ ولا يضعه في غير محله، بل سيزيد عطاياهم وأوراقهم باستمرار
الجهاد والغزو والحض على العمل وضبط الأدلة المالي للدولة^(٦)، وقد قام
بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق في الدولة.

٦- وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفها والسمع
والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يشيع الرقابة الإسلامية في
المجتمع.

٧- ونبه إلى أنه لا يحين على ذلك... بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار

خامساً: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والتزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى قال تعالى: ﴿فَمَا رَمَقُوا رَبَّهُمْ فَلَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُورَىٰ فِي الْأَمْرِ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ [آل عمران: 159].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَشَارُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا﴾ [الشورى: 128]. لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً^(١)، وقد اعتمد عمر رضي الله عنه مبدأ الشورى في دولته، فكان يؤخر لا يسأمر بالأمور دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة، فإذا تزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأي معهم فيه ويستشيرهم.

ومن مآثور قوله: «لا خير في أمر أجمع من غير شورى»^(٢)، وقوله: «الرأي الفرد كالخيط المسجول والرأيان كالخيطين المبرمين»، والثلاثة موار لا يكاد يتفرض^(٣)، وقوله: «شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل»^(٤)، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه ويتزل حيث يأمره أهل الرأي و... حاتم باتر، لا ياتمر رشداً ولا يقطع مرشداً^(٥).

قال
الحمد

وقوله: «يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم» فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم^(٦)، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعندما بحث أبا عبيد الثقفي لمحاربة القرمن بالعراق قال له: «أسمع وأطع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر وخاصة من كان منهم من أهل بدر»^(٧)، وكان يكتب إلى قاداته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي قائلاً: «استشيروا واستعنوا في حرككم بطلحة الأسدي وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئاً؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته»^(٨)، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: «ليكن عندك من العرب أول من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكلدوس لا ينفك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك»^(٩)، ومما قاله عمر رضي الله عنه لعنه بن غزوالم حين وجهه إلى البصرة: «قد كتبت إلى العلاء الحضرمي»^(١٠)، أن يمدك بعرفجة بن هرثمة^(١١)، وهو ذو مجاهدة للعلم: «كأيدته فإذا قدم عليك فاستشروه وقربه»^(١٢)، وكان مسلك الفاروق في الشورى جيلاً، فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يقضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما استقر عليه رأيهم أعضاء وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية في كثير من الممالك النظامية؛ إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلاً ثم بعد أن يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في بعضها: مجلس الشيوخ وفي بعضها: مجلس اللوردات؛ فإذا انتهى

المجلس من تقريره أمضاه الملك. والفرد عمل عمر وعمل عليه السالك أن
 هذا الأمر كان اجتهاداً منه وبغير نظام متبع أو قوانين مستقرة^(١)، وكثيراً ما كان
 عمر يجتهد في الشيء ويبدى رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس قسراً له وجه الصواب
 وقوة الدليل فيقبله ويرجع عن خطأ ما رآه، إلى صواب ما استبان له^(٢)، وقد توسع
 نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه المستجيدات والأحداث واعتداد رفعة
 الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد وتنظم متباينة فولدت مشكلات جديدة
 احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل معاملة الأرض المفتوحة وتنظيم العطاء وفق
 قواعد جديدة لتدفع أموال الفتوح على الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر
 عدد من الصحابة الكبار^(٣)، وكان لأشياخ يدر لهم مكانتهم الخاصة في الشورى
 لفضلهم وعلمهم ومناقبهم إلا أن عمر رضي الله عنه أخذ بشورهم بشباب، فزلهم على
 دربهم ماصون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرة والدولة لا بد لها من تجديد
 رجالها، وكان عمر العفري فقد قد فطن إلى هذه الحقيقة فأخذ يختار من شباب
 الأمة من علم منهم علماً وورعاً وتقى فكان عبد الله بن عباس من أولهم، وما زال
 عمر يجتهد متخيراً من شباب الأمة - شارحاً له متخذاً القرآن فضلاً في التصبر،
 حتى قال عبد الله بن عباس: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهيولاً
 كانوا أو شائلاً^(٤)، وقد قال الزهري لعلمان أحداث: لا تحذروا أنفسكم للمدائنة
 أسانكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نزل به الأمر المفضل دعا العيان
 فاستشارهم ينغي حلة عقولهم^(٥).

٥- رأي عمر في الزواج بالكتائب:

لما علم عمر رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية كتب إليه: (أخلى سبيلها،
 فكتب إليه حذيفة: أترعم أنها حرام فأخلى سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام،
 ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن وفي رواية: إني أخشى أن تدعوا
 المسلمين وتشكوا المومسات)^(٦).

قال أبو زهرة: يجب أن نقرر هنا أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة أصنام
 الأئمة من كل وجه، ولقد كان عمر رضي الله عنه يهجر عن الزواج بالكتائب إلا لغرض
 سام كارتباط سياسي يقص به جمع العرب وتأليفها أو نحو ذلك^(٧).

لقد بين المولى عز وجل في كتابه بأن الزواج بالمؤمنة ولو كانت أمة أولى من
 الزواج بالمشركة ولو كانت حرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ
 وَلَئِنَّكُمْ مُؤْمِنَةً حَرِّمَ لَكُمْ أَنْ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ
 حَتَّى يَمُنُوا بِكُلِّ صِدْقٍ مِمَّا بَيَّنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨) [الأنعام: ١١٠]، ففي هذه الآيات الكريمة
 ينهى الحق سبحانه وتعالى عن الزواج بالمشركات حتى يؤمن بالله ويصدق نبيه،
 وحكم بأفضلية الأمة المؤمنة بالله ورسوله - وإن كانت سوداء وفقيرة الحال - على
 المشركة الحرة وإن كانت ذات جمال وحسب ومال، ويمنع في المقابل المؤمنات
 من الزواج بالمشركين ولو كان المشرك أحسن من المؤمن في جمال وماله.

(١) الشعر والتعراء لابن فنية (١/٣٢٧)، عمر بن الخطاب: د. أحمد أبو النصر ص ٢٢٢.

(٢) أصحاب الرسوك (١/١١٠) مسعود المصري، مدبرين الصواب (١/٣٦٦).

(٣) إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (١/٢٦٥).

(٤) الأحوال الشخصية لأبي زهرة ص ٢٠٤.

وحسبه^(١)، وإذا كان الزواج بالمشرقة حراماً بنص هذه الآية فإن الزواج بالكتابية جائز بنص آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّحِيصَةُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] وهو نص مخصص للعموم في النص الأول، هذا هو رأي الجمهور^(٢)، إلا أنهم قالوا إن الزواج بالمسلمة أفضل، هذا فيما إذا لم تكن مثلك، مقاسد تلحق الزوج أو الزوجة أو المجتمع المسلم، أما إن وجدت مقاسد فإن الحكم هو المنع، وهذا مذهب إليه بعض العلماء المعاصرين^(٣)، وهو رأي سبق إليه عمر بن الخطاب إذ هو أول من منع الزواج بالكتابات مستنداً في ذلك إلى حديثين:

أ- لأنه يؤدي إلى كساد الفتيات المسلمات وتغييبهن.

ب- لأن الكتابية تصد أخلاق الأولاد المسلمين وديهم، وهما حجتان كافيتان في هذا المنع، إلا أنه إذا نظرنا إلى عصرنا فإننا نجد مفسدات أخرى كثيرة استجدت تجعل هذا المنع أشد^(٤)، وقد أورد الأستاذ جميل محمد مبارك مجموعة من هذه المفسدات منها:

أ- قد تكون للزوجة من أهل الكتاب مهمة التجسس على المسلمين.

ب- دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين.

ج- تعرض المسلم للتجنس بجنية الكفار.

د- جهل المسلمين المتزوجين بالكتابات مما يجعلهم عاجزة سهلة التشكيك في يد الكتابيات.

هـ- شعور المتزوجين بالكتابات بالخس، وهو أمر أدى إليه الجهل بلدين
 الله^(٥).

٢- بدء التاريخ:

يعد التاريخ بالهجرة تطوراً له خطره في التواصي الحضارية، وكان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر، ويحكى في سبب ذلك عدة روايات، فقد جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: دُفع إلى عمر بن الخطاب كتاب من شيعان، فقال عمر: شيعان هذا الذي مضى أو الذي هو أت أو الذي نحن فيه؟ ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: ضحوا للناس شيئاً يفرقونه، فقال قائل: اكتسوا على تاريخ الروم، قيل: إنه يطلون وإنهم يكتبون من عند ذي القرنين، فقال قائل: اكتسوا تاريخ الفرس، قالوا: كلما قلنا ذلك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن يظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة، فوجدوا أقام عشرة شين فكتب أو كتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ^(٦)، وعن عثمان بن عبيد الله^(٧)، قال: سمعت سعيد ابن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار ﷺ فقال: من نكتب التاريخ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك - يعني: من يوم هاجر - قال: فكتب ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٨)، وعن ابن المسيب قال: أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لستين ونصف من خلافة، فكتب لست عشرة من المحرم بشيرة علي بن أبي

(١) نفس المصدر ٢١٩/١١.

(٢) شرح مسلم للنووي (١٣٧/٧).

(٣) معضن الصواب (٣١٦/١٢)، ابن الحوزي ص ٦٩.

(٤) ابن أبي رافع مولى النبي ﷺ يروي عن أبيه.

(٥) المستدرک (٦٤/٣) وصححه رواه.

تاريخ
 ابن أبي رافع
 مولى النبي ﷺ

طالب عليه السلام ^(١١)، وقال أبو الزناد ^(١٢) استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة ^(١٣)، وروى ابن حجر في مصب جعلهم بداية التاريخ في شهر محرم وليس في ربيع الأول الشهر الذي تمت فيه هجرة النبي صلى الله عليه وآله أن الصحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا أن الأمر الذي يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هي مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، وجدوا أن المولد والمبعث لا يخلو من التراجع في تعيين سنة حدوثه، وأعرضوا عن التاريخ بوفاته؛ لما يشهد من الحزن والأسى عند المسلمين، فلم يبق إلا الهجرة، وإنما أسروا من ربيع الأول إلى المحرم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان من المحرم ^(١٤)، فبعض البيعة العقب الثانية في ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلاك استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال محرم، فتعجب أن يجعل متداً. ثم قال ابن حجر: وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم ^(١٥).

وبهذا الحدث الإداري المتميز أسهم القاروق في إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة القوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد، فاستطاع أن يوحده عدوه وهو واثق من النصر^(١٠).

٣- لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر رضي الله عنه وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيقول هذا، ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، فيدعى به من بعده من الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: نحن المؤمنون وعمر: أمير المؤمنين، فهو أول من سمي بذلك ^(١)، وعن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سأل أبا بكر بن

سليمان بن أبي خيثمة^(١) - لم كان أبو بكر عليه السلام يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله عليه السلام؟ ثم كان عمر عليه السلام يكتب - بعده - من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، ومن أول من كتب أمير المؤمنين فقال: حدثني جدتي الشفاء^(٢)، وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل بالعراق^(٣)، أن ابعت إلي بربعين جبلتين نيلين، أسألها عن العراق وأهلها، فبعث إليه صاحب العراقين بلبد بن ربيعة، وعلي بن حاتم، فقدموا المدينة فأتاها واحداهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص، فقالا له: يا عمرو، استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص؟ فخرج من مما قالت: قال: نعم، قدم لي بلد بن ربيعة وعلي بن حاتم فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال: عليه السلام والله أصتما اسمه، إنه أمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم^(٤)، وفي رواية: أن عمر عليه السلام قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فهو سمي نفسه^(٥)، وبذلك يكون عمر بن الخطاب عليه السلام أنه أول من سمي بأمر المؤمنين، وأنه لم يسبق إليه، وإذا نظر الباحث في كلام أصحاب النبي عليه السلام رأى أن جميعهم اتفقوا على تسميته بهذا الاسم، وسار له في جميع الأقطار في حال ولايته^(٦)

المبحث الثالث

١- حياة عمر في المجتمع واحتماجه بنظام الحجة

أولاً: حياة عمر في المجتمع:

كانت حياة عمر رضي الله عنه في المجتمع تطبيقاً حياً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خلال مواقفه المتنوعة نرى الإسلام متجسداً في سيرته وإليك بعض هذه المواقف:

١- عمر رضي الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر رضي الله عنه يهتم بنساء المسلمين وبناتهم، وعجائزهم ويعطي لهن حقوقهن، ويرفع عنهن ما يقع من الظلم عليهن، ويرعى شؤون الأمر التي غاب عنها رجالها في الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرامل إليهن حتى قال قوله المشهورة والله لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي أبداً^(١)، وهذه بعض المشاهد التي كتبت على صفحات الزمن بأحرف من نور:

تذكرتك أمك عشرات عمر تتبع:

خرج عمر رضي الله عنه في سواد الليل فرآه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك قالت: إنه يتعهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى فقال طلحة: تذكرتك أمك عشرات عمر تتبع^(٢).

إن الاهتمام بضعفاء المجتمع من عزائل النصرة، ومن القرابات العظيمة التي يتقرب بها إلى المولى عز وجل، فيبني لقيادة الحركات الإسلامية، وحكام الشعوب الإسلامية، وأئمة المساجد وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنساني في مجتمعاتهم ويعطوه حقه.

هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات:

خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا امرأة برزت على ظهر الطريق، فلم عليها عمر بن الخطاب فزنت عليه السلام، وقالت يا عمر، عهدت لك وأنت تسمى عميراً في موق عكاظ تدر الضياع بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ولم تذهب الأيام حتى منيت أمير المؤمنين، فأتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه العبد، ومن خاف الموت خشي القوت، فقال الجارود: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق أن يسمع لها^(٣)، وجاء في رواية: فوالله لو أنها وقفت إلى الليل ما قارفتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها^(٤)، وجاء في رواية: هذه خولة التي أنزل الله فيها قوله سمع الله قائلها^(٥)، والله أعلم بالصواب.

ثانيهما: اهتمامه بالحسبة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر):

أخبر المولى عز وجل عن أصحاب نبيه الكريم ﷺ الذين أخرجوا من ديارهم
أنهم عند تمكين الله لهم في الأرض سيقومون بأربعة أمور: إقامة الصلاة، وإيتاء
الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

أَخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِشَرِّ حَيْثُ إِلَّا أَنْتَ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَأَوَّلًا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِقَضَائِهِمْ مِنْ
مَلَكُوتِ صُلَيْعٍ وَبَعَثَ وَصَلَاتٍ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ بِهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِتُصْنِفَ اللَّهُ عَنْ
يُضَرُّوهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴿١٥﴾ اللَّهُ إِنْ سَأَلْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمُوهَا الصَّلَاةَ وَالْأَمْرَ
الْمَكْنُونَةَ وَأَمْسُوا بِالْمَكْرُوبِ وَنَهَوْا عَنِ الْمَكْرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿١٦﴾ [الحج: ٤٠-٤١]

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في سيرة: وهذه صفة المهاجرين؛ لأنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، فأخبر تعالى أنه إن مكنتهم في الأرض آفوا بالصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهو صفة الحلفاء الراشدين الذين مكنتهم الله في الأرض وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم (١) . وقد شهد التاريخ وثبت بالتواتر أن القاروق رضي الله عنه قام بتلك الأمور خير قيام (٢) ، واهتم رضي الله عنه بحماية وتطوير مؤسسات الدولة كالمالية، والقضائية، والعسكرية، والمتعلقة بالولاة، واجتهد رضي الله عنه في حمل الناس على امتثال أوامر الله تعالى وأوامر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعمل على حمل الناس على اجتناب ما نهى الله عنه ونهى عنه نبيه صلى الله عليه وسلم من خلال منصبه كخليفة المسلمين ومن خلال الولايات الإسلامية المنتشرة في الدولة الإسلامية قال ابن تيمية -رحمه الله- وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) ، وقد قام القاروق رضي الله عنه بحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ، وإقامة العبادات في المجتمع الإسلامي، وحارب المنكر، وشجع على المعروف.

١- حماية جانب التوحيد ومحاربة الزمخ والبدع:

لما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية حراسة الدين، فإن من أهم ما قام به الفاروق القيام بهذا المقصد، وهو حفظ أصل الدين بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، وحارب شبهات الزائغين وهدم أعداء الدين الذين يروجون للعقائد المخرقة والخرافات المستكرة التي زينها

(١) أحكام القرآن (٣/٢٤٦).

(٢٢) الحجة في العصر الراشدي د. فضل إلم، ص ١٥.

(٣) الحق في الإسلام ص ٦، السلطة التشريعية (٣٠٩/١)

لهم الشيطان، فقلوا أنهم يحسنون صنعا وإليك بعض المواقف التي تشهد للقارون في حمايته إحتاب التوحيد ومحاربهه للربيع:

عروس النيل:

أرسل عمرو بن العاص إلى القارون رضي الله عنه يخبره عن عادة أهل مصر في رمي فتاة في النيل كل عام وقالوا له: أيها الأمير، لنينا مدامسة لا يجري إلا بها، قال: وما ذلك؟ فأتوا: إذا كانت انتهي السرة ليلة حلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرسلنا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والنياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا رضي الله عنه والنيل فلا يجري قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمرو بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإنني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألفها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد: فإن كنت إنما تجري من تباك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا بك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، رمر الذي يحريك فتسال الله تعالى أن يحريك. قال: فألقى البطاقة في النيل بأصحوا يوم السبت وقد أحرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله هذه السنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم^(١).

فقد بين القارون معاني التوحيد في البطاقة وأن النيل إنما يجري بمشيئة الله وقدرته سبحانه وتعالى، وكتب للناس زيف معتقدهم القاصد الذي تفعل في القوس وكان يتصرعه الحكيم قد تنف هذا المعقود من شعور المصريين^(٢).

إلك حجر لا تضر ولا تنفع:

عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقوله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا إني رأيت النبي يملك ما قبلتك^(٣) (١٥)

الاتباع في أحسن صورة وأجمل معانيه^(٤)، قال ابن حجر: قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشى أن يظن الجهال أو استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم أن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ ثم قال ابن حجر: رحمه الله. وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ وما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه^(٥)، وهذا الحلق رضي الله عنه السنة والحرص عليها من أخلاق النصر في جبل الصحابة رضي الله عنهم فقد علموا بأن لا بد من اتباع النبي ﷺ ويحبهم الله بالنصر والتأييد^(٦).

قطع شجرة الرضوان:

أخرج ابن سعد - بإسناد صحيح - عن نافع: أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة - شجرة الرضوان - فيصلون عندها فتزعمهم، ثم أمر بقطعها فقطعت^(٧).

فهذا موقف لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في حماية التوحيد والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك الناصبون بمعنى لم يعملوا العناية رضي الله عنهم فهو أمر متشعب، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة وأمر بها فقطعت^(٨).

قالت: والله لا انتهى حتى تذهب قال: قطع عمر وإنما هي المسجد^(١) فهذا
الخير يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لأمر الشريعة، ووقفته عند كتاب
الله وسنة رسوله ﷺ حيث قدّم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه^(٢).

وكان رحمه الله يحب الصلاة في كبد الليل - يعني: وسط الليل - وكان يصلي ما
شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أبْقَطَ أهله، ويقول: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه
الآية: **وَأَمَّا أَمْلُكَ بِالْأَسْوَءِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهِ لَا تَشْتَكَ بِرَفَا عَنْ رَزَقِكَ وَالْعَنِيَّةُ بِتَقْوَى**
اللَّهِ [١٣٢] ^(٣) وقد قام ذات ليلة فغشبه هم عظيم من تغافره في أمور
الناس، فلما استطاع أن يصلي، وما استطاع أن يرقد، فقد قال: فوالله ما استطعت أن
أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتح السورة فما أدرى أي أولها أنا أم في
آخرها، فلما سئل: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: من همّي بالناس^(٤)، وكان يعجز
ما فاته من قيام بالليل بالنهار، ثم قال رحمه الله: من فاته شيء من ورده - أو قال: من
حويه - من الليل فقرأ ما بين صلاة الصبح إلى الظهر فكأنما قرأه من ليله^(٥).
وكان رحمه الله يتمنى أن يكون مؤدباً، فقد قال: لو كنت أطبق الأذان مع الخلافة
لأفدت^(٦)، وكان كثير الدعاء والتضرع لله عز وجل ومن أدعيته أقواله في شأن
الدعاء: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد
فيه شيئاً^(٧). ومن دعائه أيضاً: اللهم إن كنت تحبني شيئاً فامحني «يا مكين سعيدي»،
فإنك تمحو ما تشاء وتثبت^(٨). وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، وإني
أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه^(٩). وكان يحث الناس على

الاقتراب من المطيعين ويقول: اقتربوا من أقوام المطيعين، واسمعوا منهم ما
يقولون، فإنهم تنجلي لهم أمور صالحة^(١٠)، وكان عمر رضي الله عنه يحب التذكير بالله،
فقد كان يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فبقراً
ويستمع عمر ومن معه فيكون^(١١)، وكان يحب الحارس مع أهل الذكر، فعن أبي
سعيد مولى أبي أمية قال: كان عمر يبيت في المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه
أحدًا إلا أخرجه، إلا رجلاً قائماً يصلي، فمر بغير من أصحاب رسول الله ﷺ
فيهم أبي بن كعب، فقال: من هؤلاء؟ قال: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال:
ما خلفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأصحابهم:
خذ في الدعاء فعدوا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلي. وأنا بجانيه، فقال:
هات، فمحصرت وأخذني أفكلك^(١٢)، فقال: قل - ولو أنه يقول اللهم اغفر لنا، اللهم
ارحمتنا، قال: ثم أخذ عمر في الدعاء، فما كان أحد أكثر دعة ولا أشد بكاء منه،
ثم قال: تفرقوا الآن^(١٣).

التراويح:

أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب
بذلك إلى البلدان، وسبب ذلك أن الفاروق خرج في ليلة من ليالي رمضان إلى
المسجد فإذا الناس أوزاع^(١٤) متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل
فبصلي يصلاته الرقعة، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد
لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، قال الراوي: عبد الرحمن بن
عبد القاري: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر:
نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان
الناس يقومون أوله^(١٥)، ولا ينوهم فتوهم أن التراويح من وضع عمر، ولا أنه أول

(١) الفتاوى (٦٠/١٥).

(٢) الفتاوى (٥١/١٠).

(٣) الأفكل: الرعدة، وأفكل تعني رعدة.

(٤) الشبخان من رواية البلاذري ص ٢٣٦.

(٥) أوزاع: جماعات، لا واحدة من لفظة.

من وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبي ﷺ ولكن عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس على قارئ واحد فيها، فإنهم كانوا يصلون لأنفسهم فجمعهم على قارئ واحد^(١). وأما دليل أصلها من هدى النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحث الناس على قيام شهر رمضان فقد قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه^(٢). وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاصبح أكثر منهم، فصلاوا معه، فأصبح الناس يتحدثون أكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قدس الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يقف علي مكانكم ولكي نصيب أن تفرض عليكم شئجزوا عنها. عزي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك^(٣). وأما قول عمر بن الخطاب: نعم البدعة هذه إنما سماها بدعة، قلنا ذلك لأنه بدعة في اللغة، إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة^(٤). وما دعه الفاروق من جمع الناس على صلاة في صلاة التراويح وتعميم ذلك في الولايات يدل على حبه وتوليه بالنظام.

الزمام التجاري بمعرفة الحلال والحرام في البيوع:

كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا^(٥). وكان يطوف بالأسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى^(٦). فكل شئ من الحكم كانت محل اهتمام عمر لا يظلم جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الناس، إنه يقعد للتجارة الفوائد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتنضم الشئب^(٧) فلا غش ولا غش، ولا احتكار، ولا أسواق سوداء أو زرقاء، ولا يبيع بها يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، يسر قراراً موجزاً شاملاً يقضي على كل المقاسد ويقبض كل شيء من لم يفقه فلا يشر في سوقنا^(٨).

وهذا يشهد صدور قانون من مواعين اليوم بقول مثلاً: لا يزال المسلم الفلاني من لم يمكن خاصلاً على إجازة كذا وكذا في علم من العلوم^(٩)، وتعنى دول اليوم تنظيم الأسواق والإشراف عليها ونقوم التعرف التجارية أو ما يقوم مقامها على ترشيده وإصلاح وحبط كل ما من شأنه ضغط الأسواق وراحة الجمهور، وكان لعمر رضي الله عنه فضل المبيع في ذلك، فلم يترك الأمر فوضى في الأسواق، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون وينظمون ويحافظون، فقد استعمل سليمان بن حنيفة على الأسواق، كما كان السائب بن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود، فهناك مشرف تام على الأسواق، ومشرفون على كل سوق على حدة يعملون تحت إمرته، ومن "القطع" يفقه أن العناية بالأسواق تنظيمًا وتيسيراً لها دس كثير في رر الناس من كثير من العناية بالحصول على حاجاتهم، فإذا اهتم الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الذي يستحقه كان له من الله الأجر، وأثبت تصرفات عمر رضي الله عنه السليمة الفصيحة، العملية الدقيقة، أن الإسلام صالح لكل عصر وفي مكان في جميع أنحاء العالم، يدفع الأمم المتأخرة إلى التقدم، ويحفظ الأمم المتقدمة من التدهور والانهيار، لا يهد الطريق على من يريد التقدم أن يتقدم ولا يترك الغافل في سبيله العميق^(١٠).

٤- الدوريات العصرية الليلية (العسس):

وسمّا لا شك فيه أن (العسس) كان نواة الشرطة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان أميراً على العسس في عهد أبي بكر، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه العسس، وكان يستصحب معه أسلم مولاة، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف، والعسس هو الطواف بالليل لتبج النصوص وطلب أهل الفساد ومن يخشى شرهم، ومن الحق أن نعهده الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة، لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم ومنع المنكر من بينهم في النهار، حتى إذا ناموا نوا أسهر عنهم رجال العسس، ثم لما تكاثروا المفسدون وتظاهروا بالمنكر في وضح النهار، أخرج الأمر إلى من يرصدهم نهاراً أيضاً، فأنشئت الشرطة. فالشرطة إذن (عسس دائم) إذا صح هذا التعبير ^(٢).

تتم الحراسة
لنفسه
والنفس
والنفس

كان الفاروق رضي الله عنه يقوم بنفسه على حراسة المسلمين، وقد ساعده ذلك على الإثمام بواقع المجتمع الإسلامي، ففي مدينة رسول الله - وهي يومئذ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى وملتقى البشر ومقر الحكم - كان يسعى في دروبها ليلاً ليوى بنفسه ويسمع ما قد يتردد عماله في أن يحملوه إليه، أو يموت عليهم ما يحملوه إليه، وكتم وضع من القواعد كتم عليك من القواعد، التي وجد أن الواقع يفرض عايه وضعها، أو يفرض عليه تعديلاتها وإلغاءها، وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه ^(٣).

التهى عن تعجيل فطام الصبيان:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم المدينة رفقة من توارق فترلوا

المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهما ويصليان فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحصني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى أمه فقال لها: ويحك إنك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد... أي أشغله عن الطعام فأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم - وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقاً، أو عطاء - قال: وكتم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: ويحك لا تعجله عن الفطام، فلما صلى أصبح وهو لا يستين للناس قراءته من البكاء، قال: يؤسنا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فتادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق ^(١)، ما أجملها من حادثة وما أعظمها من عدالة، وبذلك أصبح كل مولود مسجل في ديوان العطاء ويفرض له من ربه مال المسلمين، لأن بيت المال حق لكل مسلم ولأن المستوفى عنه إنما هو أمين وفائض حله لا يجوز له أن يصرف منه شيئاً في غير محله ولا أن يمنع منه حقاً وجب فيه.

مجلس
القضاء
الاستئنافي
بمصر

عندما انتشر الإسلام، واتسعت رقعة الدولة في عهد عمر، وارتبط المسلمون
بغيرهم من الأمم، دعت حاجة المدينة الجديدة إلى تطوير مؤسسة القضاء، فقد
كثرت مشاغل الخليفة، ونشبت أعمال الولاة في الأمصار، وزاد النزاع
والشجار، فرأى عمر ^(١) أن يفصل الولايات بعضها عن بعض وأن يجعل سلطة
القضاء مستقلة، حتى يفرغ الوالي لإدارة شؤون ولايته، فأصبح للمؤسسة
القضائية قضاء مستقلين عن الولايات الأخرى، كولاية الحكم والإدارة فكانت
عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة، ضمن القضاء في الأمصار
الإسلامية، في الكوفة والبصرة والدمشق ^(٢) وجعل القضاء سلطة تابعة له
مباشرة، سواء كان النعين من الخليفة، أو كان يتولى أحد ولايته بذلك نيابة
عنه، وهذا يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة في شخصه الفاروق، لم تكن
عاجزة عن وضع قواعد أصلية، في تشريع الدولة وترتيب شؤونها، وتحديد
سلطاتها وإذا كانت أوريا قد اكتشفت هذه القاعدة بصورة نظرية في القرون الثامن
عشر واعتبرتها قننا حديثا في تنظيم الدولة، وفي رعاية حقوق المواطنين، يوم
تحدث عنها (موسكو) في كتابه روح الشرائع، ولكن لم يكتب لهذه القاعدة
التطبيق العملي إلا في أوائل القرن التاسع عشر، أي بعد الثورة الفرنسية، فإن
الإسلام قد أقرها قبل أربعة عشر قرنا، واعتبرها أصلا من أصول نظامه.

وقد كان هذا الأصل من زمن الرسول ^(ص) حين أرسل معاذ إلى اليمن ومعاذه
رسول الله ^(ص)، وم نضفي يا معاذ، فبين معاذ أنه يفتي بكتاب الله، فإن لم يجد
فبما رسول الله ^(ص)، فإن لم يجد يجتهد رأيه ولا يألو، فأقر الرسول ^(ص) على
ذلك ^(٣) وأما الفاروق، فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور
وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء ^(٤) والسلطات واضحة في حياة الناس
ولم يكن استقلال ولاية القضاء مانعا لعموم ^(٥) من أن يفصل في بعض القضايا،
وربما ترك بعض ولايه يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويراد بهم في
الشؤون القضائية، عند راسل العقيرة بن شاذ في أمر القضاء وكان واليه على
البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية واليه على الشام في النزاع القضائي، وراسل أبا
موسى الأشجري في شأن بعض القضايا، وكان القاضي يعين للولاية كلها، سواء
أكان نقيب من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالي بأم الخليفة، وكان مقر القاضي
حاضرة الولاية وإلى ترجع السلطة القضائية في ولايته ^(٦)، وقد تم تسلي السلطة
القضائية في الولايات الكثيرة على الغالبية مثل الكوفة ومصر، وقد جمع
بعض ولايه بين الولاية والقضاء إما كان القضاء لا يتغنى عن شؤون الولاية
وراسلهم بهذا الوصف في شؤون القضاء، وأنه كان يقوم بالقضاء في بعض الأحيان
مع وجود قضاء له بالمدينة ^(٧)، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق في خلافته
على القضاء وحده: عبد الله بن مسعود ^(٨)، عمر قيس الكوفة، وقد روى قتادة
عن أبيه سبلز أن عمر بن الخطاب بعثه ^(٩) يأسر على صلاة أهل الكوفة،
وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المقدس والقضاء ^(١٠)

سلمان بن ربيعة، ولما عمر القضاء على البصرة ثم القامسية، فبس بن أبي
العاص القرشي تولى قضاء مصر.

وأما الذين جتمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم

نافع الخراسي والي مكة، ذكر ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب استعمله على
مكة وفيهم سادة فرس، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة
المخزومي ^(١١)

○ الصغير بن شعبة والي الكوفة.

○ معاوية بن أبي سفيان والي الشام.

○ عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان.

○ أبو موسى الأشعري والي البصرة.

○ عمير بن سعد والي حمص.

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق إلى القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وقصره على الولاية كما فعل مع المعيرة وأبي موسى الأشعري، ومن قضاة الفاروق بالعديّة علي بن أبي طالب.

زيد بن ثابت رضي الله عنه روى أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وقضى له رزقاً^(١١).

السائب بن أبي يزيد^(١٢).

أولاً: من أهم رسائل عمر إلى القضاة:

إن الفاروق رضي الله عنه وضع دستوراً فريداً في نظام القضاء والتفاسير، وقد اهتم كثير من أعلام الفقه الإسلامي بشرح هذا الدستور والتعليق عليه، وتجد الدستور العمري في القضاء في رسالة لأبي موسى الأشعري وهذا نص الرسالة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس^(١٣)، سلام عليك، أما بعد:

إن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فاعلموا إذا أدب إليكم، فإنه لا يقع بكم حق لا تقاد له، أمي^(١٤) بين الناس بيني وحبك وغالبك ومجلك، حتى لا

يطلع شريف في حبك^(١٥)، ولا يبأس ضعيف من عدلك، السنة على من أذعن، والحين على من أنكر، والصلح حائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيت بالأمن، فراجعت فيه غفلك، ومهديت فيه لرسلك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل، اللهم ألهمهم فيما تلجج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك وأخذ إلى أقربها إلى الله، وأشبها بالحق واجعل لمن ألقى حديثاً أو بيعة أمداً يتهيأ إليه، فإن أحضر يستأخذك له بعنه وإلا استأثرت^(١٦)، قد نصبت، فإنه أتى الشك وأجلى العنى، المسلمون عدول^(١٧)، بعضهم على من إلا مخلوقاً في حد، أو فخرت عليه شهادة زور، أو طيناً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم الشرائر ودرأ^(١٨) والبيات والإيمان، وإياك والغلق^(١٩)، والصبر والتأذي للخصوم، والتكبر عند الخصومات، فإن القضاء في مواطن الحق يعظم، به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كقائه الله ما بينه وبين الناس، ومن شغل الناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه، شأنه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل وزرقه وخزائن رحمته والسلام^(٢٠) وقد جمعت هذه الرسالة المعجبة آداب القاضي وأصول المحاكمة، وقد شغلت العلماء بشرحها والتعليق عليها هذه القرون الطويلة، ولا تزال موضع دعة وإكبار لكل من يطلع عليها، ولو لم يكن لعمر من الآثار غير ما أعد بها من كبار المفكرين والعشوعين، ولو كتبها ليس دولة في هذه الأيام التي انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات، وضار البحث فيها مما يفرقه الأولاد في المدارس، لكانت كبيرة منه، فكيف وقد كتبها عمر منذ نحو أربعة عشر قرناً، ولم

آلاف الثمرات، للفرسة المباركة التي غرسها في قلبه محمد ﷺ حين دخل عليه في دار الأرقم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(١).
ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: أما بعد:

فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه خير، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظيك: إذا حضر الخصمان فعليك باليمين المدولة، والأيمان القاطعة، ثم أذن الضعيف حتى تيسر لسانه ويجترئ قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإن الذي أبطل من لم يرفع به رأساً. واحرص على الصلح ما أمكن من لك القضاء والسلام^(٢) وكتب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في القضاء: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك ونفسي فيه خير، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حظك: إذا تقدم إليك خصمان فعليك باليمين العادلة أو اليمين القاطعة، وأذن الضعيف حتى يشد قلبه ويتيسر لسانه، وتعهد الغريب، فإنك إن لم تعهده ترك حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به، وأسي بينهم في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس، ما لم يسنن لك فصل القضاء^(٣).

وكتب إلى القاضي شريح عن الاجتهاد: إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسن رسول الله، فاقض بما سن فيه أحد قاضي الأمرين شئت لمخلد به وفي رواية أخرى: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيراً لك^(٤). ويمكن للباحث من خلال رسائل الفاروق وحياته في زمن خلافته أن يستخرج ما يتعلق بمؤسسة القضاة في الأرقم والعزل، وأنواع القضاة وصفاتهم وما يجب عليهم ومصادر أحكامهم وخضوع الخليفة نفسه

للقضاء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه المؤسسة.